

رؤية الرّمانيّ في توظيف الدّرس البلاغيّ لبيان أوجه الإعجاز القرآنيّ "النّكت في إعجاز القرآن نموذجاً"

د. علي زواري أحمد *

كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي
zouari-ahmed-ali@univ-eloued.dz

النشر: 2026/06/01.

القبول: 2026/05/02

الإرسال: 2026/02/01

الملخص: نتناول في البحث كتاب "النّكت في إعجاز القرآن" للرّمانيّ، كونه من الذين وظّفوا الدّرس البلاغيّ في بيان وجوه الإعجاز القرآنيّ، وقد عالجنّا الموضوع في جملة من العناصر منها؛ نبذة عن الرّمانيّ وكتابه النّكت، ثمّ الحديث عن منهجه في الكتاب، وبعدها نذكر أهمّ ما استثمره من الدّرس البلاغيّ، ومواطن توظيفه لذلك في فصول الكتاب، وقد وصلنا لنتائج أهمّها؛ أنّ الكتاب يعتبر حلقة مهمّة من حلقات الدّرس البلاغيّ وكذا الإعجاز القرآنيّ لا يمكن الاستغناء عنه.

الكلمات المفتاحية: توظيف؛ الرّمانيّ، الدّرس؛ البلاغيّ؛ أوجه؛ الإعجاز؛ القرآنيّ.

Rummānī's Vision of Employing Rhetorical Analysis to Elucidate the Aspects of Qur'anic Inimitability:

Al-Nukat fī I'jāz al-Qur'ān as a Model

Abstract: In this research, we will discuss the book "Al-Nukat fī I'jāz Al-Quran" by Al-Rummani, as he is one of those who employed the rhetorical study in explaining the aspects of the Quranic miracle. We have dealt with the subject in a number of elements, including: a brief about Al-Rummani and his book "Al-Nukat", then a discussion of his method in the book, after which we will mention the most important thing he invested in from the

* المؤلف المرسل:

rhetoical study, and the places where he employed it in the chapters of the book. We have reached the most important results; that the book is considered an important link in the chain of rhetorical study as well as the Quranic miracle, and it is indispensable.

Key words: Employment; Roman; lesson; rhetorical; aspects; miracle; Quranic.

1- مقدمة:

البلاغة والإعجاز من أهم العلوم اللغوية القرآنية ، لا يفتقران في دراسة النصّ القرآنيّ ، فإذا تحدّثت عن أحدهما ساقك إلى الآخر ، فهما كالعملة الواحدة ، كلّ وجه منها يمثل شطر ها ، وبالوجهين تكتمل العملة ، تلکم هي علاقة البلاغة بالإعجاز ، وحين ندرس كتاب "النّكت في إعجاز القرآن" نجد البلاغة من أهمّ وجوه الإعجاز عند الرّماني ، وقد جاء ذلك واضحا وجليّا في وجوه الإعجاز التي عرضها ، ولذا وسمنا بحثنا بـ "رؤية الرّمانيّ في توظيف الدّرس البلاغيّ لبيان أوجه الإعجاز القرآنيّ ، النّكت في إعجاز القرآن نموذجاً".

الهدف من البحث

يهدف الموضوع لبيان كيفة استثمار الدّرس البلاغيّ في خدمة النصّ القرآنيّ ، وبيان طريقة توظيفه في بيان أوجه الإعجاز القرآنيّ ، للاستفادة من ذلك في التّعامل مع النصّ القرآنيّ في الدّراسات التحليليّة البلاغيّة ، فمصنّف الرّماني "النّكت" يعتبر من أوائل المصنّفات التي وصلتنا في قضية الإعجاز ، تعرّض فيه صاحبه لأقسام البلاغة العشرة التي ذكرها مع ما فيها من تقسيمات وتفرّعات كثيرة ضمّنها داخل الكتاب سنذكرها في حينها ، وقد حاول توظيفها جميعا ، واستثمارها في دراسة الإعجاز من الوجهة البلاغيّة ، وقد أجاد في ذلك وأحسن رغم إيجازه فيها.

إشكاليّة البحث

تتمثّل إشكاليّة البحث في مدى استثمار الرّمانيّ للدّرس البلاغيّ في كتابه النّكت في إعجاز القرآن ، وتوظيف ذلك في بيان أوجه الإعجاز القرآنيّة المختلفة.

منهج البحث

في البحث اتّبعنا المنهج التحليليّ الوصفيّ ، الذي يحلّل المادّة وينظّمها حسب مكانها من البحث ، وقد استعنا بألية الاستقراء لرصد المادّة العلميّة من مضائّها في الكتاب.

خطة البحث

ونحن في قراءتنا للكتاب سوف نتبع الخطة التالية:

أولاً - نبذة مختصرة عن الإمام علي بن عيسى الرّماني ؛

ثانياً - نبذة موجزة عن كتاب النّكت في إعجاز القرآن ؛

ثالثاً - منهج الرّماني في عرضه لمادة الكتاب ؛

رابعاً - أهم ما استثمره الرّماني من المباحث البلاغية في الكتاب ؛

خامساً - مواطن توظيف الرّماني للبلاغة في الكتاب.

والآن نبدأ في تفصيل هذه العناصر.

2 - نبذة مختصرة عن الإمام علي بن عيسى الرّماني:

الرّماني: هو إمام مشهور في سائر العلوم ، وهو باحث معتزلي مفسّر ، من كبار النّحاة ، وقد كان أبو حيان التّوحيدي يبالغ في تعظيمه إلى الغاية ، ويصفه بالتّأله والتّنزه، والفصاحة والتّقوى¹.

اسمه علي بن عيسى الرّماني ، المكنى بأبي الحسن ، نُسب إلى الرّمان وبيعه أو إلى قصر الرّمان ببغداد ، ولد سنة ستّ وتسعين ومائتين من الهجرة ، أصله من سامراء ، ومولده ووفاته ببغداد².

أخذ اللّغة والتّحو على جماعة من شيوخ العلم ، مثل ابن دريد وأبي بكر السّراج ، والرّجّاج ، وقد قرأ عليهما " الكتاب " لسيبويه ، وأيضاً تتلمذ على ابن الإخشيد المعتزلي.

وقد كان الرّماني محباً للعلم واسع الاطلاع متقناً للأدب وعلوم اللّغة والتّحو ، ويجمع إلى علم التّحو علم الكلام على مذهب البغداديين ، وبرع في علوم القرآن والتّفسير وآلف فيهما³.

صنّف الرّماني مجموعة ضخمة من المصنّفات والمؤلّفات ، قدّرتها بعض المصادر بما يقرب من مائة مصنّف⁴ ، منها: النّكت في إعجاز القرآن ، الجامع في علوم القرآن. ألفات القرآن. شرح معاني القرآن للرّجّاجي. التفات القرآن. شرح كتابي المدخل والمقتضب للمبرّد. شرح كتاب سيبويه. نكت سيبويه. أغراض كتاب سيبويه. المسائل المفردة من كتاب سيبويه. شرح مختصر الجرمي. شرح المسائل للأخفش. شرح الألف واللام للمازني.. وغيرها.

فقد كان رحمه الله تعالى من أوعية العلم ، توفّي ببغداد ، بعد حياة حافلة ، في جمادى الأولى ، سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، عن ثمان وثمانين سنة.

3 - نبذة موجزة عن كتاب النّكت في إعجاز القرآن:

كتاب "النكت في إعجاز القرآن" هكذا هو اسم الكتاب وقد صرح به المؤلف في مقدمته ، فقال: "قال الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني سَأَلْتُ وَفَّقَكَ اللهُ عن ذكر النكت في إعجاز القرآن...". فهو رسالة علمية صغيرة بليغة في الإعجاز ، وتحمل سمة أدبية وبلاغية قيمة ، تعكس لنا مكانة المؤلف وتخصّصه العلمي ، وتُظهر لنا منهجه الاستدلالي التحليلي ، في توصيل أفكاره ، وذكر آرائه.

ويعتبر الكتاب من أوائل الكتب التي أُلِّفَتْ في الإعجاز وأفردته بالتأليف⁵ ، ومن جاء بعده قد استفاد منه ، رغم أنّ الرُّماني كتب في الموضوع استجابة لسؤال سائل يسأله عن الإعجاز ويطلبه بأن لا يطيل أو يستطرد ، وقد استجاب لطلبه ؛ فأجب عن المطلوب وأوجز في المقصود ، ومع ذلك غدا الكتاب مرجعا في الإعجاز القرآني والبلاغة العربية ، بل يُعدُّ حلقة مهمة من حلقات التأليف فيها على حد سواء.

يقول عنه عبد العزيز عتيق: "وأول كتاب يلقانا من كتب علماء الكلام الذين اهتموا بالمباحث البلاغية من أجل تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن هو كتاب "النكت في إعجاز القرآن" للرُّماني المعتزلي (386هـ). وقد تحدّث الرُّماني فيه عن البلاغة وجعلها في عشرة أبواب... وكتاب (النكت في إعجاز القرآن) بمشتملاته ومضمونه والجديد فيه له أثر واضح في تاريخ البلاغة العربية ، فقد عرّف فيه بعض ألوانها تعريفا نهائيا ، وميّز أقسامها وأفاض في شرحها"⁶.

ويقع كتاب "النكت" في سبع وثلاثين صفحة ، وقد طُبِعَ في دار المعارف بالقاهرة مع كتاب "بيان إعجاز القرآن" للخطّابي ، ورسالة عبد القاهر الجرجاني المسماة "بالرسالة الشافية" بتحقيق الدكتور محمّد خلف الله والأستاذ محمّد زغلول سلام ، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في هذه القراءة.

4 - منهج الرُّماني في عرضه لمادّة الكتاب:

اتّسم منهج الرُّماني في الكتاب بجملّة من الخطوات ، نذكرها بإيجاز:

- اعتمد الرُّماني في عرضه لمادّة الكتاب على الإيجاز ، وقد أشار لذلك في مقدّمة الكتاب ، فقال: "... سَأَلْتُ وَفَّقَكَ اللهُ عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون تطويل بالحجاج ، وأنا أجتهد في بلوغ محبتك"⁷.

- كلّ فنّ من فنون البلاغة التي قدّمها يعرفها بما يوضّحها من غير إيراد لكثرة التعاريف ، ولا ذكر للأقوال ، ولا إشارة للخلاف في المسائل.

- كل فنّ من فنون البلاغة فيه تقسيمات أو أوجه ، يذكرها بما يوضحها من غير استرسال ولا إطناب ، كما فعل مع التشبيه والاستعارة وغيرهما.

- كلّ المسائل البلاغية التي ذكرها يمثل لها من القرآن الكريم ، وفي بعضها قبل التمثيل لها من القرآن الكريم يمثل لها من الشعر والتثر بقدر الحاجة لبيانها.

- الرّماني إذا ذكر المثل شرحه وبيّنه بإيجاز بما يفي بالغرض ، وقصده من هذا الصنيع بيان وجه الإعجاز الذي كان نتيجة الفنّ البلاغي المذكور في الدراسة.

- بعض الفنون البلاغية توسّع نوعاً ما في التمثيل لها ، وهي قليلة مع باقي المباحث البلاغية ، وسنأتي على ذكرها في حينها.

- لم يعتمد الرّماني نفس المنهج في شرحه لأوجه الإعجاز السبعة ، فنجده في الوجه البلاغي قد استرسل واستفاض في بيانه كأنّه هو المراد لوحده - كما سنذكره لاحقاً - في حين نجده أوجز الكلام عن باقي الوجوه الستة في آخر الكتاب ، وإيجاز كبير ، ما جعل عدد الصفحات لا يتجاوز الأربع.

5- أهمّ ما استشره الرّماني من المباحث البلاغية في الكتاب:

الرّماني في كتابه "النكت في إعجاز القرآن" قد عرض لأوجه الإعجاز بشيء من الإيجاز والاختصار ، وقد عدّها في سبعة أوجه ، وذكر ذلك في مقدّمة الكتاب فقال: "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توقّر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدّي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكلّ معجزة"⁸.

فترى الرّماني أنّه خصّ البلاغة بوجه واحد من وجوه الإعجاز من بين تلك الوجوه السبعة ، ولكنّ عند قراءة الكتاب نجده اهتمّ بالوجه البلاغيّ على حساب باقي الوجوه ، وكأنّه يرى أنّ هذا الوجه من أهمّ وجوه الإعجاز ، لذا قال بعد كلامه السابق مباشرة: "فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن. وما كان منها دون ذلك فهو ممكن ، كبلغة البلغاء من الناس. وليست البلاغة إلهام المعنى، لأنّه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيّي ؛ ولا البلاغة أيضاً بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنّه قد يحقّق اللفظ على المعنى وهو غثّ مستكره ونافر متكلّف، وإنّما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى

طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم، كإعجاز الشعّر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أنّ ذلك معجز للكافة⁹.

وهو بهذه المقدمة يعرف البلاغة ويقسمها ويذكر بلاغة القرآن، وقد تبني بعض البلاغيين بعده هذا، ثم مباشرة لخص جملة المباحث البلاغية وتكلم عنها، فقال: "والبلاغة على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمن، والمبالغة، وحسن البيان، ونحن نفسرها بابا بابا إن شاء الله تعالى"¹⁰.

فهذه هي مباحث البلاغة عنده، حصرها في هذه المباحث العشرة، وإن أردنا حصرها بتفريعاتها فقد تكلم عن الإيجاز والحذف والقصر والإطناب، والتشبيه والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والسجع، والتجانس، والمزاوجة والمناسبة، والتصريف، والتضمن، والمبالغة، وحسن البيان. وهو في كل ذلك يتكلم بإيجاز كبير إلا في القليل من المباحث يتوسع قليلا في التمثيل لها.

6- مواطن توظيف الرّماني للبلاغة في الكتاب:

بداية ننبّه على أنّ زمن الرّماني رغم تقدّم المباحث البلاغية في التحقيق والتّقنين إلا أنّ علوم البلاغة لم تصل لذروتها بعد، لذا نجد أنّ عرضه لتلك الوجوه البلاغية محصورة في الأقسام العشرة التي ذكرها، وعندما نرتبها على حسب مباحث علوم البلاغة بعد استقرارها تكون كالتّالي:

6-1- توظيفه لعلوم المعاني في بيان وجوه الإعجاز القرآني

في علم المعاني كان حديثه ابتداء عن الإيجاز؛ وهو أوّل وجه عرضه في الكتاب، كون البلاغة في نظره هي الإيجاز، وهذا هو السائد في تلك الحقبة من الزمن، أنّ أهمّ تعريفات البلاغة أنّها الإيجاز، وكأنّ علم المعاني الذي هو أساس البلاغة وأهمّ علومها مختزل في الإيجاز.

فالإيجاز من أهمّ خصائص اللّغة العربيّة في القديم، فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والشرح والإسهاب، وكانوا يعدّون الإيجاز هو البلاغة، فأكثم بن صيفي يرى أنّ البلاغة هي الإيجاز، وكان جعفر بن يحيى يقول لكتّابه: "إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا". وفعلوا مثل ذلك في القصائد، وقد قيل لبعضهم: مالك لا تزيد على أربعة واثنين؟ قال: هنّ بالقلوب أوقع وإلى الحفظ أسرع وبالألسن أعلق، وللمعاني أجمع وصاحبها أبلغ وأوجز¹¹.

وعند تفصيله لهذا الوجه من وجوه الإعجاز ، بدأ بتعريف الإيجاز ، ثم قال: الإيجاز على وجهين: حذف ، وقصر¹² ، وقام ببيانها ، وضرب لهما الأمثلة من القرآن الكريم ، وأظهر بلاغتهما ، من ذلك قوله: "ومنه ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾. الزمر: 73. كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير، وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان، فحذف الجواب في قولك: لو رأيت علياً بين الصّفين، أبلغ من الذكر لما بيناه"¹³.

ونفس الشيء فعله مع القصر ، وقال عنه: "وأما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف ، وإن كان الحذف غامضاً... وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن كثير"¹⁴. وقد بين وجه الإعجاز في الإيجاز بالقصر بالمقارنة بين المثل العربي القائل: "القتل أنفى للقتل" وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾. البقرة: 179. وقد فصل القول في ذلك ، وبين الفرق البلاغي بين القولين ، وأظهر ما تحمله كلمة حياة من إعجاز لا يمكن أن تؤدّيه كلمة أنفى للقتل ، وفي هذا تعرض لموقع الإيجاز والإطناب من الكلام ، وأن لكل واحد منهما مزية في موقعه لا يؤدّيهما الآخر.

وبعد ما يختم الإيجاز قائلاً: "وإذا عرفت الإيجاز ومراتبه. وتاملت ما جاء في القرآن منه، عرفت فضيلته على سائر الكلام، وهو علوه على غيره من سائر الكلام، وعلوه على غيره من أنواع البيان"¹⁵.

كما أنه تكلم عن التلاؤم الذي هو من علم المعاني ، وهو من الأهمية بمكان ، حيث وصف شيوخ البلاغة والأدب الكلمة الموضوعة في المكان الملائم لها من الجملة بأنها "متمكنة". أي: هي ثابتة في المكان الذي وضعت فيه ، فهي ذات جذور وروابط فكرية تربطها بما جاورها من عناصر الجملة. ووصفوا الكلمة الموضوعة في المكان غير الملائم لها من الجملة بأنها "قلقة" و"نايئة" و"غير متمكنة". وقالوا عن الشعر الذي لا تأخي بين كلماته ، ولا تواصل بين مفرداته: "لا قرآن له". أي: ليس له جامع فتني راق يجمع بين كلماته ويشد بعضها إلى بعض ، كما يجمع أسر الكائن الحي بين أعضاء جسده ومختلف أجزائه ، وهو جملة العصبية¹⁶.

وكعادته بدأ بتعريفه بأنه ضدّ التناثر ، ويراد به تعديل الحروف في التأليف ، وهذا من باب الحديث عن الجانب الصوتي ، وعلماء الفصاحة يتكلمون عنه في باب فصاحة الكلمة ،

وبعدها قال: "والتأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، متلائم في الطبقة العليا"¹⁷.

ولا ريب أن القرآن الكريم قد حاز الطبقة العليا من التلاؤم، ولذا قال: "والمتلائم في الطبقة العليا القرآن كله، وذلك بين لمن تأمله. والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى. وبعض الناس أشد إحساسا بذلك وفطنة من بعض، كما أن بعضهم أشد إحساسا بتمييز الموزون في الشعر من المكسور، واختلاف الناس في ذلك من جهة الطباع كاختلافهم في الصور والأخلاق"¹⁸.

ثم تطرق بعدها لأسباب التلاؤم وأسباب التنافر، كما تكلم عن فوائد التلاؤم، وفي ذلك تكلم عن مخارج الحروف التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالتلاؤم، وبين أنها مدعاة للإعجاز القرآني، وخاصة إذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز لجيد الطباع، البصير بجواهر الكلام¹⁹.

وفي هذا المبحث لم يذكر الأمثلة كون حروف القرآن كلها متلائمة، ومعجز بها جميعا، لذا ختم الكلام بالحديث عن معجزة القرآن، نقلها كما ذكرها: "فقال عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. البقرة: 23. ثم قال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾. البقرة: 24. فقطع بأنهم لن يفعلوا. وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾. الإسراء: 88. وقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾. الطور: 34. ولما تعلموا بالعلم والمعاني التي فيه قال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾. هود: 13. فقد قامت الحجة على العربي: والعجمي بعجز الجميع على المعارضة إذ بذلك تبين المعجزة²⁰. ولا ندري هل يريد بهذا الترتيب مجرد ذكر التحدي والتعجيز أم أنه يميل إلى أن التعجيز كان بهذا الترتيب وعلى هذا النحو؟ فالأمر فيه كلام لكن ليس هذا موطنه.

وتكلم كذلك عن نوع آخر يظهر أنه يعده من المعاني، وهو يدخل ضمن علم الصرف والنحو لتعلقه ببنية الكلمة ومشتقاتها²¹، وقد سماه بـ "التصريف" وإن كان يحسن أن يكون من ضمن المحسنات البديعة اللفظية، فهو شبيه بالمبالغة وصيغها، والسجع وأنواعه، وإن كان الرُّماني يعدّ السجع من العيبي.

وقد بدأ بالحديث عن التصريف ببيانه وتوضيحه، فقال: "التصريف تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب،

فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة، وهو عقدها به على جهة العاقبة، كتصريف الملك في معاني الصفات، فصرف في معنى مالك، ومملك، ذي الملكوت، والمليك، وفي معنى التملك، والتمالك، والإملاك، والتملك، والمملوك، كذلك تصريف معنى العرض في الأعراض، والاعتراض، والاستعراض، وبالتعرض، والتعريض، والمعارضة والعرض والعروض. وكله منعقد بمعنى الظهور²².

ومن أمثلته أنه دُلَّ عليه ب القصص القرآني، فقال: "أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة، منها قصة موسى عليه السلام، ذكرت في سورة الأعراف وفي طه والشعراء .. وغيرها لوجوه من الحكمة..²³

6-2- توظيفه لعلم البيان في بيان وجوه الإعجاز القرآني

في علم البيان خصَّ الكلام عن وجهين مهمين من المباحث، هما: التشبيه والاستعارة، فبدأ بتعريف التشبيه ثم بيّن وجهه، فقال: "والتشبيه على وجهين: تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما، وتشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما، فالأول كتشبيه الجوهر بالجوهر وتشبيه السواد بالسواد، والثاني كتشبيه الشدة بالموت والبيان بالسحر الحلال. والتشبيه البليغ إخراج الأعمى إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف²⁴.

وبعدا انتقل للتشبيه على التشبيه من القرآن الكريم وبيان بلاغته التي جعلته وجها من وجوه الإعجاز القرآني، فقال: "ونحن نذكر بعض ما جاء في القرآن من التشبيه، وننبّه على ما فيه من البيان بحسب الإمكان²⁵.

وقد أعطى عدّة أمثلة وبيّن بلاغة التشبيه فيها، نذكر منها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾. الجمعة: 5. قال مبيّن بلاغة التشبيه لبيان وجه الإعجاز فيه: "وهذا تشبيه قد أخرج ما لم يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بالبديهة، وقد اجتمع في الجهل بما حملا، وفي ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية²⁶.

ثم انتقل للكلام عن الاستعارة، فعرفها، وبيّن الفرق بينها وبين التشبيه، وذكر أركانها، فقال: "وكل استعارة فلا بدّ فيها من أشياء: مستعار ومستعار له، ومستعار منه²⁷.

وكعادته في التمثيل يذكر أمثلتها من القرآن الكريم، ثم يسعى لبيانها، فقال: "ونحن نذكر ما جاء في القرآن من الاستعارة على جهة البلاغة²⁸. وقد ذكر أمثلة كثيرة، من نماذجها التي ذكرها وبيّن بلاغتها، منها قوله تعالى: «وَأَشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» مريم: 4. فقال: "أصل

الاشتعال للنار وهو في هذا الموضوع أبلغ. وحقيقته كثرة شيب الرأس، إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد تزييدا سريعا صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار.. وله موقع في البلاغة عجيب، وذلك أنه انتشر في الرأس انتشارا لا يتلافى كاشتعال النار²⁹.

واكتفى فيها يخصّ مباحث علم البيان بالتشبيه والاستعارة، وذلك لأنهما محلّ الإبداع في تصوير المعاني بصور مختلفة، وهما ركيزة البحث في ذلك الزمن حيث لم تستقر أقسامهما ولم ينته البحث فيهما، كما أنّهما ركيزة المجاز، فالمجاز مداره الأساسي هو التشبيه، والاستعارة ماهي إلا تشبيه محذوف أدواته وأحد ركنيه، لذا كان يكفيه الاكتفاء بهما، وما يلحق بهما من الكناية والتعريض والتورية... فهو تابع لهما.

ومع ذلك نراه لا يكتفي بالتمثيل بل يسعى بما سمح به الحال لبيان وجه الإعجاز، وهو بهذا يضعنا أمام عملية تطبيقية لكيفية توظيف تلك المباحث البلاغية في بيان وجوه الإعجاز، واعتقد لو أنه لم يلتزم الإيجاز الذي قيّد به نفسه في المقدمة لكان البيان منه على درجة عالية من حسن التوجيه ودقة التخرّيج لوجوه الإعجاز.

6-3- توظيفه لعلم البديع في بيان وجوه الإعجاز القرآني

في علم البديع تكلم عن الفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمن، والمبالغة، وحسن البيان، وكلها محسنات بديعية معنوية ولفظية، ورغم أن علم البديع لم يأخذ حقه يومها من التأصيل والتحقق، كما كان الحال مع علم المعاني وعلم البيان إلا أن تلكم المحسنات كانت تفرض نفسها على أهل البلاغة والبيان، لما تحمله من سحر وجمال يجعلان القارئ البليغ ينجذب لهما، ويخضع لحسنهما، لذا كان الاهتمام بكلّ هذه المحسنات البديعية لأهميتها في بيان وجوه الإعجاز القرآني، وهذا ما دعا علي بن عيسى الرّماني للكلام عنها في هذا الكتاب الموجز.

وأول هذه المحسنات البديعية هي "الفاصلة"، وهي ممّا يميّز به القرآن الكريم عن غيره من كلام العرب، وقد بدأ بتعريفها، وبين أن الفواصل بلاغة وأما السجع فهو عيب في رايه، وقد علّل ذلك بأنّ الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها³⁰. ثم قال: "وفواصل القرآن كلّها بلاغة وحكمة، لأنّها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدلّ بها عليها"³¹.

وبعد هذا بيّن أنّ الفواصل على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة، ومثّل للوجهين من القرآن الكريم، وذكر أنّه حسن في الفواصل الحروف

المتقاربة ، لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدلّ على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ، بخلاف القوافي التي لا تحتل ذلك ، لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة ، وإنما الكلام فيها إقامة الوزن ومجانسة القوافي³².

وختم الفواصل قائلا: "والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل وإدائها في الآي بالنظائر"³³.

ثم بعدها انتقل للكلام عن التجانس ، ويقصد به التجنيس كما ذكر ذلك ابن رشيق في العمدة وابن أبي الإصبع في التّحبير³⁴ ، لأنّ البعض يرى التجانس ليس هو التّجنيس ، وإنما يرونه نوعا من التّماتل أو التّطابق ، ويرى البعض الآخر أنّه المشاكلة والازدواج ، وقد عرفه الرّماني بقوله: "هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة"³⁵.

وقد قسمه على وجهين ، أحدهما تجانس مزوجة ، وتقع في الجزاء ، وثانيهم تجانس مناسبة ، ومثّل لهما ، فقد مثّل للمزوجة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ البقرة: 194. أي جازوه بها يستحقّ على طريق العدل، إلّا أنّه استعير للتّاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدّلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان³⁶.

وأما تجانس المناسبة فقد قال عنه: "وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد"، ومثّل لذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾. التّوبة: 127. فجونس بالانصراف عن الذّكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد ، وهو الذّهاب عن الشّيء، أمّا هم فذهبوا عن الذّكر، وأمّا قلوبهم فذهب عنها الخير³⁷.

ثمّ تكلم عن التّضمين³⁸ ، وهو من المحسنات البديعية ، وبداية عرفه ، بأنّه: "تضمين الكلام هو حصول المعنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه". وبعدها ذكر وجهيه ، أحدهما ما كان يدلّ عليه الكلام دلالة الإخبار، والآخر ما يدلّ عليه دلالة القياس³⁹.

وقد مثّل للأوّل كذكرك الشّيء بأنّه محدث، فهذا يدلّ على المحدث دلالة الإخبار، والتّضمين في الصّفتين جميعا، إلّا أنّه على الوجه الذي بينه ، أمّا التّضمين الذي يدلّ عليه دلالة القياس فهو إيجاز في كلام الله عزّ وجلّ خاصّة، لأنّه تعالى لا يذهب عليه من وجوه الدّلالة، فنصبه لها يوجب أن يكون قد دلّ عليها من كلّ وجه يصحّ أن يدلّ عليه ، مثّل لذلك بـ"بسم الله الرحمن الرحيم" قد تضمّن التّعليم لاستفتاح الأمور على التّبرّك به والتّعظيم لله بذكره، وأنّه أدب من آداب الدّين وشعار للمسلمين، وأنّه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي

هي من أجل نعمة، وأنه ملجأ الخائف: ومعتمد للمستنجد ، وقد بينا ذلك بعد انقضاء كل آية في كتاب "الجامع لعلم القرآن"⁴⁰.

ونكلم كذلك عن المبالغة كوجه من وجوه الإعجاز القرآني ، وهي من المحسنات البديعية المعنوية ، وقد عرفها ثم تكلم عن وجوهها ، وذكر من أبنيتها الكثيرة: فعلاّن ، فعال ، وفعل ، ومفعّل ، ومفعلاّن . وفعللاّن ، وكعاداته مثل لها ، من ذلك فعال كقوله عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾. طه: 82. معدول عن غافر للمبالغة، وكذلك تَوَّابٌ، وعلام. ومنه فعول كغفور وشكور، وودود، ومنه فعيل كقدير، ورحيم، وعليم. ومنه مفعّل كمدعس، ومطعن، ومفعلاّن كمنحار، ومطعام⁴¹.

وهذا هو الضرب الأول من المبالغة ، ثم أردفه بالحديث عن الضرب الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس ، وقد مثل لكل ذلك بمثال من القرآن الكريم. وهذا لأهمية المبالغة ودورها الفعّال في بلورة المعنى وإخراجه بصورة فيها من التعظيم والتفخيم أو التّهويل والتحقير ، وقد رأى ابن المعتز أن المبالغة نوع من أنواع الاسراف والإفراط في المعنى بتبليغه بأقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، وكلّ ذلك لا ريب أنّ له تأثيره على الدلالات ، ما يجعل المبالغة وجهاً مهماً من وجوه الإعجاز القرآني.

وفي الأخير ختم بالكلام عن حسن البيان ، وقد عدّه ابن أبي الأصبع من البديع في كتابه بدائع القرآن ، وهو ما فهمه من الرّماني في هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، حيث عرفه بقوله: "البيان هو الإحضار لما يظهر به تميّز الشيء من غيره في الإدراك"⁴². ثم ذكر أقسامه ، وهي: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة. وقد سبقه لهذا التقسيم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين⁴³. ثم قال: "وحسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتّى يحسن في السّمع ويسهل على اللّسان وتتقبّله النّفس تقبّل البرد، وحتّى يأتي على مقدار الحاجة فيها هو حقّه من المرتبة"⁴⁴.

وبعدها قال: "والقرآن كلّّه في نهاية حسن البيان، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾. الدّخان: 25 ، 26. فهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاعتراض بالإمهال. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. الدّخان: 40. وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾. الدّخان: 51. فهذا من أحسن الوعد والوعيد⁴⁵. وقد ذكر نماذج كثيرة في ذلك نكتفي بها ذكرنا.

وفي الأخير ختم الكتاب بباب موجز لا تتعدّى صفحاته أصابع اليد الواحد ، خصّه للكلام عن وجوه الإعجاز الأخرى ، وقد ترجم له بقوله: "باب البيان عن الوجوه التي ذكرنا في أول الكتاب". ويقصد بها: ترك المعارضة مع توقّر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدّي للكافة، والصّرفة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة وقياسه بكلّ معجزة.

7 - خاتمة:

وفي نهاية الحديث عن الرّماني وكتابه "النّكت في إعجاز القرآن" يمكن أن نضع بعض النّقاط الموجزة ، نختم بها الكلام ، والمتمثلة في أهمّ النّاتج:

كلّ ما ذكرناه عن توظيف الرّماني للبلاغة في وجوه الإعجاز يُظهر لنا بجلاء أنّ الكتاب كلّه يركّز في بيان الإعجاز على البلاغة ، فهي مادّة هذا الكتاب ولبّه ، ما يوحّي بأهميّة البلاغة عند الرّماني ، وأنّها عنده من أعظم وجوه الإعجاز ، لذا نراه - رغم صغر حجم الكتاب - يضعنا أمام مادّة علميّة دسمة ، يمكن من خلالها أن يهتدي الباحث للتوسّع في ضروب المباحث البلاغيّة المختلفة ، والغوص من خلالها في بحر الإعجاز القرآنيّ ، كما استفاد منها علماء البلاغة في تقنين المباحث البلاغيّة.

كما أنّ ما يميّز الرّماني في النّكت أنّه حاول الكلام عن أهمّ أقسام البلاغة التي كانت قد استقرّت مفاهيمها في زمنه ، وكأنّه يرى أنّ كلّ مباحث البلاغة هي وجه من وجوه الإعجاز القرآنيّ ، ومن ذلك أنّه أعطى البديع حقّه من الدّراسة بحيث نصف الأقسام التي ذكرها للبلاغة تدخل ضمن علم البديع ، وإن كان في وقته لم تستقر علوم البلاغة ومنها علم البديع ، لكن يعطينا ذلك تصوّراً مفاده اهتمامهم بالمحسنات البديعيّة.

أيضاً اتّسم عرضه للبلاغة في بيان وجوه الإعجاز بالتمثيل للمبحث المطروق من القرآن الكريم ، ويسعى بإيجازه لبيان وجه الإعجاز ، وليس مجرد ذكر المثل من غير بيان ، وقد رأينا صنيعه في الحديث عن الإيجاز وبيان الإعجاز منه عند قوله تعالى: (ولكم في القصص حياة) ، وكذا عند عرضه لأمثلة التّشبيه ، وغيرها من المباحث.

ونلاحظ أنّ الرّماني في النّكت لا يعتمد على ذكر المصنّفات ولا الإحالة عليها ، ولم يفعل ذلك إلّا مرّة واحدة في آخر كلامه عن التّضمين ، فقد أشار لمؤلّفه "الجامع لعلم القرآن". ولعلّ السّبب الذي جعله يسلك هذا المسلك ، هو الإيجاز الذي اعتمده من البداية وإلى النّهاية ، الشّيء الذي يجعله لا يتوسّع في كثير من الأشياء ، ولا يعتمد عليها في منهجه.

وأخيراً يمكن أن نستنتج من خلال تسميات بعض المباحث البلاغية وتعريفاتها، كالإيجاز والتجانس والتصريف وحسن البيان أنها كانت مصطلحات أولية في البحث البلاغي لم تستقر على ما هي عليه في زمن السكاكي، بل إنه في زمن الرّماني لم تكتمل علوم البلاغة ذاتها ولم يستقر أمرها بعد، وما يدلّ على ذلك أنه قسّم البلاغة لتلكم المباحث العشرة التي تطرّقنا إليها بشيء من البيان والإيضاح.

ومع ما ذكرنا فإنّ كتاب الرّماني هذا تناقله البلغاء بعده، كالباقلاّني والخفّاجي وابن رشيّق والرّازي والعلويّ، وابن أبي الأصبع، وغيرهم، فنقلوا عليه، واستشهدوا به، وكان محطة من محطات التّأليف البلاغيّ، كما أنّه محطة من محطات التّأليف في الإعجاز القرآنيّ.

8- مصادر البحث ومراجعته:

- ابن أبي الأصبع، عبد العظيم، دت: تحرير التّجبير في صناعة الشّعْر والنّثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حفيّ محمد شرف، الجمهورية العربيّة المتّحدة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة - لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ.
- الجاحظ، أبو عثمان، 1423هـ: البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- الذهبيّ، شمس الدّين، 2006: سير أعلام النبلاء، دار الحديث - القاهرة، الطّبعة: 1427هـ.
- الرّماني، علي بن عيسى، 1976: النّكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب]، المحقّق: محمّد خلف الله، ومحمّد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطّبعة: الثالثة.
- الزّركلي، خير الدّين، 2002: الأعلام، دار العلم للملايين، الطّبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو.
- مسلم، مصطفى، 2005: مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم - دمشق، الطّبعة: الثالثة، 1426هـ.
- عتيق، عبد العزيز، 1982م: علم البيان، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت - لبنان، الطّبعة: بدون، 1405هـ.
- فهد، الرّومي، 2003: دراسات في علوم القرآن حقوق الطّبع محفوظة للمؤلف، الطّبعة: الثانية عشرة 1424هـ.
- مطلوب، أحمد، 1980: أساليب بلاغيّة، وكالة المطبوعات - الكويت، الطّبعة: الأولى.
- الميداني، حبّكة، 1996: البلاغة العربيّة، دار القلم، دمشق، الدّار الشّاميّة، بيروت، الطّبعة: الأولى، 1416هـ.

9- الهوامش والإحالات:

- 1 - ينظر شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز الذهبيّ (المتوفّى: 748هـ): سير أعلام النبلاء، دار الحديث - القاهرة، الطّبعة: 1427هـ-2006م، 467/12.
- 2 - ينظر خير الدّين بن محمود بن محمّد بن علي بن فارس، الزّركلي الدمشقي (المتوفّى: 1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، الطّبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م، 317/4.

- 3 - ينظر مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن ، دار القلم — دمشق ، الطبعة: الثالثة ، 1426 هـ - 2005 م ، ص: 49.
- 4 - ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ، 467/12.
- 5 - ينظر فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، الطبعة: الثانية عشرة 1424هـ - 2003م ، ص: 267.
- 6 - عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396 هـ): علم البيان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة: بدون ، 1405هـ - 1982م ، ص: 12.
- 7 - ، علي بن عيسى الرّماني: التّكت في إعجاز القرآن ، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب] ، المحقق: محمّد خلف الله ، ومحمّد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، الطبعة: الثالثة. ص: 75.
- 8 - المرجع نفسه ، ص: 75.
- 9 - المرجع نفسه ، ص: 75.
- 10 - المرجع نفسه ، ص: 76.
- 11 - ينظر أحمد مطلوب أحمد النّاصري الصّبادي الرّفاعي: أساليب بلاغية ، وكالة المطبوعات — الكويت ، الطبعة: الأولى ، 1980م ، ص: 206.
- 12 - الرّماني: التّكت ، ص: 76.
- 13 - المرجع نفسه ، ص: 76.
- 14 - المرجع نفسه ، ص: 77.
- 15 - المرجع نفسه ، ص: 80.
- 16 - ينظر عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدّمشقي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية ، دار القلم ، دمشق ، الدّار الشّامية ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، 1416هـ - 1996م ، 1/ 552.
- 17 - الرّماني: التّكت ، ص: 90.
- 18 - المرجع نفسه ، ص: 95.
- 19 - ينظر المرجع نفسه ، ص: 95.
- 20 - ينظر المرجع نفسه ، ص: 97.
- 21 - تعريفه كما في الإيضاح: "التّصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم". محمّد بن عبد الرحمن بن عمر ، أبو المعالي ، جلال الدّين القزويني (المتوفى: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة ، المحقق: محمّد عبد المنعم خفاجي ، دار الجبل — بيروت ، الطبعة: الثالثة ، 1/ 53.
- 22 - الرّماني: التّكت ، ص: 101.
- 23 - المرجع نفسه ، ص: 101.
- 24 - المرجع نفسه ، ص: 81.
- 25 - المرجع نفسه ، ص: 101.
- 26 - المرجع نفسه ، ص: 84.
- 27 - المرجع نفسه ، ص: 86.

- 28 - المرجع نفسه ، ص: 86.
- 29 - المرجع نفسه ، ص: 88.
- 30 - ينظر المرجع نفسه ، ص: 97.
- 31 - المرجع نفسه ، ص: 98.
- 32 - ينظر المرجع نفسه ، ص: 97.
- 33 - المرجع نفسه ، ص: 99.
- 34 - عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني ، البغدادي ثم المصري (المتوفى: 654هـ): تحرير التّجبير في صناعة الشّعر والنّثر ، تقديم وتحقيق: الدّكتور حفني محمّد شرف ، الجهورية العربية المتّحدة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة - لجنة إحياء التّراث الإسلامي ، ص: 102.
- 35 - الرّماني: التّكت ، ص: 99.
- 36 - ينظر المرجع نفسه ، ص: 99.
- 37 - ينظر المرجع نفسه ، ص: 100.
- 38 - لمزيد التّوضيح فيما يتعلّق بالتّضمين يراجع حَبَنَكَة الميداني: البلاغة العربيّة ، 49/2.
- 39 - ينظر الرّماني: التّكت ، ص: 102.
- 40 - ينظر المرجع نفسه ، ص: 103.
- 41 - ينظر المرجع نفسه ، ص: 104.
- 42 - المرجع نفسه ، ص: 106.
- 43 - وهي عند الجاحظ: اللفظ ، ثمّ الإشارة ، ثمّ العقد ، ثمّ الخطّ ، ثمّ الحال ، عمرو بن بحر ، أبو عثمان ، الجاحظ (المتوفى: 255هـ): البيان والتبيين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، سنة 1423هـ ، 82/1.
- 44 - الرّماني: التّكت ، ص: 107.
- 45 - المرجع نفسه ، ص: 107.